ملخّص اسئلة وشيء من اجوبة - الحلقة ٤ / الشيخ الغزّي
ما هي افضل خدمة حسينية ؟ ج١
الأربعاء : ٢٠/صفر/١٤٤٥هـ - الموافق ٦/٩/٢٠٢٣م

هذا يومُ الأربعين وهو يومُ الذُّروة في الخدمة الحُسينيّة، أسئلةٌ عديدةٌ بل كثيرةٌ من أخوتي وأخواتي وأبنائي وبناتي ممَّن يُتابعونَ برامجَ هذه القناة، مضامينُها وإن اختلفت في بعض الجهات لكنَّها تشتركُ في جهةٍ واحدة، هُناكَ سُؤالٌ عن أفضلِ خِدْمةٍ حُسينيّةٍ يستطيعُ خادِمُ الحُسينِ أن يقومَ بِها، تستطيعُ خادِمةُ الحُسينِ أن تقوم بها.

قطعاً لا أستطيعُ أن أُجيبَ بالتفصيلِ على سؤالٍ كهذا السؤال لأنَّ كُلَّ شخص لهُ ظروفهُ، النَّاسُ يختلفونَ في مدارجِ تفكيرِهم، يختلفونَ في إمكاناتِهم، مواهبِهم، يختلفونَ من جهة اختلاف البيئة الَّتي يتحرّكونَ فيها، لذا فإنَّني سأتحدَّثُ عن ا لخدمةِ الحُسينيّةِ في خُطوطها الإجماليّةِ العامَّة، وبإمكانِ السائلِ السائلةِ أن ينتفعَ من هذه الإجابة ويستطيع أن يُشَخِّص موقفَهُ.

الخدمةُ الحُسينيّة على ثلاثة أنحاء:

- هُناكَ خدمَةُ الشَّعائر.
- وهُناكَ خدمَةُ المشاعر.
- وهُناكَ خدمَةُ المعارف.

خدمةُ الشَّعائر : إنَّهُم المولَعُونَ بإقامة الشَّعائرِ والطقُوس، والحريصونَ على تجديدها والإضافة إليها وإنجازِها في المناسباتِ الخاصَّةِ بها، وأعتقدُ أنَّ خدمة الشَّعائر تعرفونها فهي الموجودةُ أمامَ أعيُننا، المشهدُ الحُسينيّ الجماهيريّ نُشاهدُ فيه خدمة الشَّعائر بشكلٍ واضح.

خدمةُ المشاعر : هُناكَ أُناسٌ جعلوا مشاعرهم، عواطفَهُم، حواسَّهُم، دَواخلَهَم النَّفسيَّة وقفاً على الحُسين، قد يكُونونَ معَ الَّذينَ يقومونَ بخدمة الشَّعائر وقد لا يكُونونَ معَهُم، وهذا الكلامُ قد يتأكَّدُ في شهري مُحرم وصفر، لكنَّهُم على هذا الحالِ طيلةَ الأيَّام، تشتدُّ الحالةُ، تضعُفُ إلَّا أنَّ المسارَ العامّ لمشاعرِهم هو هذا.

الخدمَةُ الثالثة؛ خدمَةُ المعارف.

هذه الخدمةُ لا أرى لها وجوداً في مشهد الخدمة الحُسينيّة الَّذي نسمعهُ ونراه، رُبَّما تكونُ موجودةً في الزوايا الَّتي لا أستطيعُ رؤيتها، لكن قطعاً في المساحةِ المرئيّة والمسموعة من مشهد الخدمة الحُسينيّة لا وجودَ للخدمة المعارفيّة.

الخدمةُ الأرقى والَّتي يُريدُ الحُسينُ مِنَّا أن نقومَ بها هي الخدمةُ المعارفيّة؛ (مَنْ زَارَ الحُسَيْنَ عَارِفاً بِحَقِّه)، الَّذينَ يُمارِسُونَ خدمَةَ الشَّعائر لا يصلونَ إلى هذه المنزلة، لكن يُفترَضُ فيهِم أن يتحرّكوا باتِّجاهها، والَّذينَ يُمارِسُونَ خدمةَ المشاعر لا يصلونَ إلى هذه المنزلة ولكن يُفترَضُ فيهِم أن يتحرّكوا باتِّجاهها، فخدمةُ الشَّعائر مطلوبةٌ ومهمَّةٌ، وخدمةُ المشاعر تفرضُ نفسها على أصحابِها؛ "إنَّهُ الوجدانُ الشيعيّ الَّذي يتفاعلُ ويستمرُّ في تفاعُلِه في فِناء الحسين"، وهذا أمرٌ يكونُ خارجاً من يَدِ الإنسان إنَّهُ التوفيق، المرتبةُ الثالثة هي الخدمةُ المعارفيَّة..

هذا هو الَّذي يُريدهُ إمامُ زمَاننا لأنَّ دِينَنا مَبنيٌ على نُقطتين:

- على مَعرفة إمامِ زَماننا.
- وعلى نَشرِنا لمعرفة إمامِ زماننا.

(اعْرِف إمامَ زَمَانِك وعَرِّف بِه)، لَطالَمَا حدَّثتكُم عن هذه المضامين، الخدمةُ المعارفيّة هي الَّتي تُوصِلُنا إلى معرفةِ إمامِ زماننا، معرفةُ إمامِ زماننا تقودُنا إلى معرفة مُحمَّد وآلِ مُحمَّد..

في (عِلَل الشرائع) للصَّدوق المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة؛

الجزء الأوَّل، البابِ التاسع؛ "علَّةُ خَلْقِ الخَلْق واختلاف أحوالهِم": **بسنده** - بسند الصَّدوق، الحديثُ الأوَّل - **عَن إِمَامنا الصَّادِقِ صَلواتُ اللَّه عَلَيه: خَرَجَ الحُسَيْنُ بنُ عَلِي عَلَى أَصْحَابِه فَقَال** - هذا هو الَّذي يُريدهُ الحُسين - **أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ العِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوه، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوه، فَإِذَا عَبَدُوه ا سْتَغْنَوا بِعِبَادَتِه عَن عِبَادَةِ مَن سِوَاه، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَمَا مَعْرِفَةُ اللّه؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُم الَّذِي يَجِبُ عَلَيهِم طَاعَتُه** - هَذه النُّقطةُ الأسمى الَّتي يُريدُ منَّا سيدُ الشُّهداء أن نَصِلَ إليها، وهذا هو الَّذي قصدتهُ بالخدمةِ المعارفيّة..

(كاملُ الزيارات) لابنِ قولويه رضوانُ اللّه تعالى عليه المتوفّى سنة (٣٦٨) للهجرة؛

طبعةُ مكتبة صدوق/ طهران - إيران/ البَابُ الأربعون/ الحديثُ الثاني، حديثٌ طويلٌ عَن إِمَامنا الصَّادق، هذا الدُّعاء يتحدَّثُ عن الخدمة الشَّعائريَّة وعن الخدمة المشاعريَّة وعن الخدمة المعارفيَّة، يقولُ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه في دُعائه وهُوَ سَاجِدٌ: **اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنا عَابُوا عَلَيهِم** - على زُوّار الحُسَين - **بِخُرُوجِهِم فَلَم يَنْهِهِم ذَلِكَ عَنِ الشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافاً مِنْهُم عَلَى مَن خَالَفَنَا، فَارْحَم تِلْكَ الوُجُوه الَّتِي غَيَّرَتهَا الشَّمْس، وَارْحَم تِلْكَ الخُدُودَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ عَلَى حُفْرَةِ أَبِي عَبْدِ اللّه الحُسَين، وَارْحَم تِلْكَ الأَعْيُنَ الَّتِي جَرَت دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَم تِلْكَ القُلُوبَ الَّتِي جَزِعَت وَاحْتَرَقَت لَنَا، وَارْحَم تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَت لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَودِعُكَ تِلْكَ الأَبْدَانَ وَتِلْكَ الأَنْفُسَ حَتَّى تَرْوِيَهُم عَلَى الحَوْضِ يَوْمَ العَطَشِ الأَكْبَر** - هذه الكلماتُ تتحدَّثُ عن الخدمة الشَّعائريَّة، وعن الخدمة المشاعريَّة، وعن الخدمة المعارفيَّة، الكلماتُ واضحةٌ جداً.

ومِن هُنا قُلتُ وأقول: من أنَّ الخدمةَ الحُسينيَّةَ بِكُلِّ أنحائها وبِكُلِّ أشكالِها مَطلُوبةٌ وواجبةٌ على خُدَّام الحُسينِ أن يَقُوموا بها، قطعاً كُلٌّ خادمٍ بحسبه، وبحسبِ ما يستطيع..

هُناكَ صُورةٌ مَهيبةٌ جدّاً : رأسُ الحُسينِ فوقَ الرِّماح، وبصوتٍ جميلٍ وجميلٍ جدّاً، وبفصاحةِ عليِّ بنِ أبي طالب، وهل هُناكَ فصاحةٌ كفصاحته؟! رأسُ الحُسينِ على الرماحِ يتلو قرآناً، لقد سمعَ الجميعُ الحُسينَ يتلو: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾.

وهُنا يطرحُ السؤالُ نفسهُ: ما هُو المغزى من قراءة رأس الحُسينِ هذه الآية؟ الآيةُ التاسعةُ بعدَ البسملةِ من سورة الكهف، هذا الموضوعُ واسعٌ مضطَرِدٌ، سآخذُ الجهةَ الَّتي ترتبطُ بحديثي في هذه الحلقة..

أصحابُ الكهف عجيبةٌ من العجائب، حكايَتُهم من أوَّلها إلى آخرِها، أتعلمونَ أنَّ أصحابَ الكهف سيعودونَ في زمن الظهور؟ أحاديثُ العترة أخبرتنا من أنَّهُم سيكونونَ من خواصِّ أنصارِ إمامِ زماننا وقتَ ظهورِه الشريف..

الآيةُ الثالثةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة وما بعدَها منِ الآيات: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ** - ما كانوا صغارَ السن كانوا كباراً، لكنَّ هذا التعبير يُخبِرُ عن حريّتهم، إنَّهم أحرارٌ، إنَّهم أبطالٌ - **آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**﴾، إيمانٌ ناشئٌ في دواخلِهم، لم يكُن هُناكَ منَ أحد قد دَعاهُمَ إلى هذا الإيمان، وماذا بَعد؟ - **وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾، هذه قوانينُ التوفيقِ والخُذلان، هذا الإيمانُ الصَّادقُ النَّابعُ من قُلُوبِهم قادَهُم أن وُفقوا أنَّ اللّه زادَهُم هُدى.

وماذا بعد؟ -**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** - هؤلاء قومٌ ثائرون، قومٌ رافضونَ للباطل، هذه القُلُوبُ المُفْعَمَةُ بِعُنفُوانِ حُريّتها وعُنفوانِ ثَورَتِها - **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** - هذا هو رَبّنا - **لَن نَّدْعُوَ من دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾، "الشَّطَطُ"؛ الخُروجُ عنِ المسارِ الصّحيح..

فهذا الوجودُ حينَ فكَّروا في عظمتِه قادَهُم إلى ربِّهِم، منِ خِلالِ الآثارِ وصلوا إلى اللّه كي يستدلّوا على اللّهِ باللّه، والبدايةُ كانت من فِطرَتِهم، من نوازعِ ضمائرِهم..

- **هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا من دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾، هؤلاء ثُوَّارٌ، لقد قَلَبوا الطاولة على الجميع، الأمرُ الاعتياديُّ أنَّ المجتمعَ الوثنيَ هو الَّذي يُطالِبُهُم بالدَّليل، لكنَّ هَؤلاء هُم الَّذينَ يُطالِبونَ المجتمعَ الوثنيَّ بالدَّليل، لأنَّ إيمانَهُم تجاوزَ الأدلَّة الَّتي نعرِفُها، لقد استدلُّوا على اللّهِ باللّه، تلمّسوا نُورَ الإيمان، وهذا هو الَّذي يُريدهُ القُرآن..

-**فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾، الصورةُ واضحةٌ عندَ هؤلاء الرِّجال، هذا هُو مضمونُ نهضَتهم، هذا هو مضمونُ ثورتهم، كانوا مُنعَّمينَ مُرفَّهينَ، كانوا حُكّاماً يُصدرونَ أحكامَهُم وتُنَفَّذُ وتُطاع، كانوا قريبينَ جدّاً منَ السّلطة العُليا، كانوا مُدلَّلينَ عندَ الأباطرة والأُمراء، كانوا وكانوا، ثاروا على أنفُسهم، ثاروا على الدُّنيا بِكُلِّ تفاصيلها، هَجَروا المناصِبَ والأموالَ والعوائلَ والأُسَرَ والأبناء، هؤلاءِ أبطالٌ ثائرون، ولِذا سيوفَّقونَ لنُصرةِ قائمِ آلِ مُحمَّد، هؤلاءِ تُحفةٌ بشريَّةٌ كانت في الأزمنة القديمة..

- **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ** - مَن الَّذي يقولُ لَهُم هذا الكلام؟ قد يقولُ قائلٌ إنَّهُ أعلَمُهُم كبيرهُم أوجَهُهُم (تَمَلِّيخا)، هكذا وردَ اسمهُ في الرواياتِ والأحاديث، قد يكونُ هو القائل، لكنَّ الآياتِ لَم تُشر إل يه لماذا؟ لأنَّ المضمونَ هذا ليسَ من عندهِ هذا هو التوفيق، هذا البرنامجُ مرسومٌ لَهُ، جاءَ على لِسانِ أحدِهِم على لِسان تَمَلِّيخا أو غيره - **وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾، تركتُم كُلَّ شَيء والتحقتُم باللّه.

"فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته"؛ هذا في الجانبِ الدِّيني.

"وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً "؛ هذا في الجانبِ الدُّنيويّ، المرفَقُ والمرافقُ هي الأمورُ الَّتي يستعينُ بها الإنسانُ في شؤونِ حياته الدُّنيويَّة..

ما هي المرافقُ الَّتي تهيَّأت لَهُم؟ - **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾، هذا هُو المرفقُ الَّذي تهيّأ لهُم، أمرٌ عجيبٌ أمرُهُم هؤلاء..

وَجْهُ العبرةِ هُنا ؛ قومٌ نهجوا نهجاً صحيحاً ورفضوا الباطل بصدقٍ إنَّها ثورةٌ؛ ثاروا على أنفسِهم، ثاروا على واقعهِم، ثاروا على الدُّنيا بِكُلِّ زبارجِها، تركوا كُلَّ شيء، ولقد تحرَّكوا باتِّجاه المجهول، إنَّهُ المجهول الدُّنيويّ، وإلَّا فإنَّ الصورةَ واضحةٌ عندَهُم لقد تحركوا باتِّجاه النُّور، لقد تذوَّقوا حلاوةَ معرفة اللّه، وها هو التوفيقُ يقودُهُم، إلى أينَ؟ إلى الكهف، هذا لسانُ التوفيق، ولذا لم تتحدَّث الآيةُ عن الشخص الَّذي تكلَّمَ بهِ، قطعاً هذا كلامُ بعضِهِم معَ بعضِهِم، لكنَّ الآيةَ لم تُشر إلى المتكلِّم لأنَّ النِّداءَ هذا نداءُ التوفيق، فإنَّ نهايةَ الأمرِ أن يكونوا أنصاراً لقائمِ آلِ مُحمَّد.

رأسُ الحُسينِ أرادَ أن يُوجِّه أنظارَنا إلى هذه الحقائقِ وإلى غيرِها، هذا النَّهجُ نهجٌ حُسينيٌ خالص، (**أَلَا حُرٌّ** - هذا هُو نداءُ الحُسين - **يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةُ لأَهْلِها**)، اللُّماظةُ بَقايا الطعام الَّذي يبقى بينَ الأسنان، إنَّهُ يُشيرُ إلى الدُّنيا، وهؤلاءِ قومٌ تركوا اللُّماظَةَ لأهلها، النَّهجُ الحُسينيُ هو نهجُ الأنبياء، النَّهجُ الحُسينيُ مرسومٌ في هذا الوجودِ قبلَ خَلْقِ آدَم فإنَّ اللّه كَتَبَ على عرشه: (**حُسَينٌ مِصباحُ هُدًى وَسَفِينَةُ نَجاة**)، هَذا هو النَّهجُ الحسيني العرشي..

وقفةٌ مُهمَّةٌ؛

في (مفاتيح الجنان)، هذا الدُّعاءُ من جُملة أدعيةِ نهاراتِ شهرِ رمضان، سأقرأ ما أجِدهُ ضرورياً للموقف الَّذي أريدُ أن أقفَهُ مَعَكُم:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَأَذْهِبْ عَنِّي فِيهِ النُّعَاسَ والكَسَل - هذا الأمرُ ليسَ خاصّاً بشهرِ رمضان، هذا المقطعُ من الدُّعاء الَّذي اخترتهُ لكُم يُمثِّلُ خارطةً تفصيليةً لحالَتي وحالتكُم دائماً، هذا هو واقعُنا دائماً في كُلِّ يوم - **والسَّأْمَةَ والْفَتْرَةَ والْقَسْوَةَ والغَفْلَةَ والْغِرَّة** - كُلُّ عُنوانٍ لَهُ شرحهُ - **وَجَنِّبْنِي فِيهِ الْعِلَلَ وَالأَسْقَامَ، وَالهُمُومَ وَالأَحْزَانَ، وَالأَعْرَاضَ وَالأَمْرَاضَ، وَالخَطَايَا والذُّنُوب، وَاصْرِفْ عَنِّي فِيهِ السَّوْءَ وَالْفَحْشَاء، وَالْجَهْدَ وَالْبَلَاء، وَالتَّعَبَ وَالْعَنَاء إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِذْنِي فِيهِ منَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَهَمْزِهِ وَلَمْزِه، وَنَفْثِهِ وَنَفْخِه، وَوَسْوَسَتِه وَتَثْبِيطِه، وَبَطْشِه وَكَيْدِه، وَمَكْرِه وَحَبَائِلِه وَخُدَعِه وَأَمَانِيِّه، وَغُرُورِه وَفِتْنَتِه وَشَرَكِه وَأَحْزَابِه وَأَتْبَاعِه وَأَشْيَاعِه وَأَوْلِيَائِه وَشُرَكَائِه وَجَمِيعِ مَكَائِدِه، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحمد وآلِ مُحَمَّدٍ وَارْزُقْنَا قِيَامَهُ وَصِيَامَهُ وَبُلُوغَ الأَمَلِ فِيهِ وَفِي قِيَامِهِ وَاسْتِكْمَالَ مَا يُرْضِيكَ عَنِّي صَبراً وَاحْتِساباً وَإِيمَاناً وَيَقِيناً، ثُمَّ تَقَبَّلْ ذَلِكَ مِنِّي بِالأَضْعَافِ الكَثِيرَةِ وَالأَجْرِ العَظِيمِ يَا رَبَّ العَالَمِين، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْزُقْنِي الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَالاجْتِهَادَ وَالْقُوَّةَ وَالنَّشَاطَ وَالإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ وَالْقُرْبَةَ وَالْخَيْرَ الْمَقْبُولَ وَالرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ وَالتَّضَرُّعَ وَالْخُشُوعَ وَالرِّقَّةَ وَالنِّيَّةَ الصَّادِقَةَ وَصِدْقَ اللِّسَانِ وَالوَجَلَ مِنْكَ وَالرَّجَاءَ لَكَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْكَ وَالثِّقَةَ بِكَ وَالْوَرَعَ عَنْ مَحَارِمِكَ مَعَ صَالِحِ الْقَوْلِ وَمَقْبُولِ السَّعْيِ وَمَرْفُوعِ الْعَمَلِ وَمُسْتَجَابِ الدَّعْوَةِ وَلَا تَحْلُ بَيْنِي وَبَيْنَ شَيْءٍ من ذَلِكَ بِعَرَضٍ وَلَا مَرَضٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا غَمٍّ وَلَا سُقْمٍ وَلَا غَفْلَةٍ وَلَا نِسْيَانٍ بَلِ بِالتَّعَاهُدِ وَالتَّحَفُّظِ لَكَ وَفِيكَ وَالرِّعَايَةِ لِحَقِّكَ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ وَوَعْدِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَاقْسِمْ لِي فِيهِ أَفْضَلَ مَا تَقْسِمُهُ لِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَعْطِنِي فِيهِ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي أَوْلِيَاءَكَ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالتَّحَنُّنِ وَالإِجَابَةِ وَالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ الدَّائِمَةِ وَالْعَافِيَةِ وَالْمُعَافَاةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْ دُعَائِي فِيهِ إِلَيْكَ وَاصِلاً وَرَحْمَتَكَ وَخَيْرَكَ إِلَيَّ فِيهِ نَازِلاً وَعَمَلِي فِيهِ مَقْبُولاً وَسَعْيِي فِيهِ مَشْكُوراً وَذَنْبِي فِيهِ مَغْفُوراً حَتَّى يَكُونَ نَصِيبِي فِيهِ الأَكْثَرَ وَحَظِّي فِيهِ الأَوْفَر** - إلى آخر الدُّعاء..

هذا المقطعُ من الدُّعاء يُمثِّلُ خارطةً كاملةً لحياتنا؛

- هذا الدُّعاءُ يتحدَّثُ عن إبليس وأساليبه ومشاكله معنا.
- يتحدَّثُ عن المجموعاتِ المرتبطةِ بإبليس من الإنسِ من الجنِّ من أيّ شيء.
- يتحدَّثُ عن الَّذينَ يُشاركونَ إبليس برنامجهُ من رجال الدِّين، من رجال السياسة، من رجال الأموال إلى غيرِ ذلك.
- يتحدَّثُ عن المشاكل النَّفسيّة الَّتي يُعاني منها كُلُّ واحدٍ منّا.
- يتحدَّثُ عن نُقاطِ ضَعفنا وعن نُقاطِ قُوتنا.
- يتحدَّثُ عن كُلِّ أمرٍ نحتاجهُ لحياتنا الدِّينيّة وحياتنا الدُّنيويَّة ولمستقبلنا الأخروي.

هذهِ العبائرُ رسمت خارطةً مُفصَّلةً.

السؤالُ هُنا : هل أستطيعُ أنا بِقُدرتي الشَّخصيّة وطاقتي البشريَّة أن أتحرّكَ عبرَ هذه الخارطة المرسومة في هذا الدُّعاء؟!
بالنِّسبة لي إنّني أقولُها وبضرسٍ قاطع : مُستحيلٌ عَلَيَّ بِأنِ أستطيعَ أن أُنَفِّذَ وأن أُحيطَ في حياتي بِكُلِّ التفاصيل الَّتي تحدَّثَ عنها هذا الدُّعاء، إلَّا أن أُحَصِّلَ على مُساعدة وعلى مُساعدة كبيرة، إلَّا أن ألجأ إلى كهف، سيد الشُّهداء يُوجِّهُ أنظارَنا أن نلجأ إلى كهف، أصحاب الكهف لجأوا إلى مكانٍ في جبلٍ، لكنَّهُ كانَ مُحاطاً بالرّحمة، بالرأفة، كانَ مَكاناً لنزول الفَيض عليهِم.
سيِّد الشُّهداء يُوَجِّهُ أنظارَنا إلى ما هو أعظمُ من ذلك؛ إنَّهُ يُوجِّهُ أنظارنا إلى الكهف الأعظَم؛ "إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد".
أعجوبةُ أصحَاب الكهف حسياً على المستوى الحسيّ؛ أنَّهُم ناموا ولكن بأجساد كاملة، بصحَّة كاملة، كانوا أقوياء، كانوا من الفرسان، واستيقظوا بعدَ مُدَّة طويلة من النَّوم.
أمّا حُسَيْنُنا ؛ حُسَيْنُنا قطَّعتهُ السّيوف، مزّقتهُ الرِماح، جِراحٌ فوقَ جِراح، وجِراحٌ في بطنِ جِراح، وجِراحٌ بجنبِ جِراح، (السَّلَامُ عَلَى الْمُغَسَّلِ بِدَمِ الجِرَاحِ)، هكذا نزورهُ في زيارة الناحية المقدّسة، وها هو رأسهُ القَطيع بِكُلِّ بهائهِ ونُورِه وجمالِه هذا حُسينُ الجَمال، هُوَ يَصدَعُ بِفصَاحةٍ عليٍ وبقُرآنِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهما وآلهما..
أمير المؤمنين يُحدِّثُنا عن الكهف الَّذي يُوجِّهُنا الحُسينُ إليه:
في (غَيبة النُّعماني)، المتوفّى سنة (٣٦٠) للهجرة، طبعةٌ أنوار الهدى/ الطبعةُ الأولى/ قُم المقدَّسة/ الصفحة الحادية والخمسين من كلام سيِّد الأوصياء صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **أَلَا إِنَّ العِلْمَ الَّذِي هَبَطَ بِهِ آدَمُ مِن السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَجَمِيعَ مَا فُضِّلَت بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَىٰ خَاتَمِ النَّبِيِّين فِي عِتْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيين** - هذا هو كَهْفُنا - **فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم** - هذا هُو كَهْفُكُم، لماذا تذهبونَ تبحثونَ في المزابل يا خُدَّام الحُسين لماذا؟!
-بَل أَيْنَ تَذْهَبُون؟! يَا مَن نُسِخَ من أَصْلابِ أَصْحَابِ السَّفِينَة - أجدادُنا الَّذينَ كانوا في سفينة نُوح كانوا على هُدىً، كانوا مُخلصينَ لنَبيِّهِم وإمامِ زَمانهم لنُوحٍ النَّبي - **هَذَا مَثَلُهَا فِيكُم** - مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، أجدادُكم أصحابُ السَّفينة كانوا في سفينة نُوح، وما نَجَت سَفينةٌ نُوح إلَّا بعليٍّ وآل عليٍ، الأحاديثُ هي الَّتي أخبرتنا، نحنُ الَّذينَ نُسخنا من أصلابِ أصحابِ نوح، البشرُ جميعاً - **فَكَمَا نَجَا فِي هَاتِيكَ مَن نَجَا** - في سَفينةِ نُوح - **فَكَذَلِكَ يَنْجُو مِن هذه** - من الفتَنِ - **مَن يَنْجو، وَيْلٌ وَيْلٌ لِمَن تَخَلَّفَ عَنْهُم** - صَلواتُ اللّه عليهِم.
وقَالَ أمير المؤمنين: **إِنَّ مَثَلَنَا فِيكُم كَمَثَلِ الكَهْفِ لأَصْحَابِ الكَهْف، وَكَبَابِ حطّة وَهُوَ بَابُ السِّلْم، "فَادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة"** - فأصحابُ الكهف نهجوا نهجَ الحقّ ورفضوا الباطل وثاروا على الواقع السيئ فجاء التوفيق أن وُجهوا إلى كهفهم وما هُو بكهف عادي إنَّهُ محلٌّ لنزول الفيض والرّحمة حيثُ نُشرت لَهُم الرّحمةُ هُناك، رأسُ حُسينٍ يدْفَعُنا إلى كَهف مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ علينا أن نُسرِع أَن نَركبَ السَّفينة إلى كَهْفِهِم، كَهفُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ إمامُ زماننا..
في نهج البلاغة الشريف؛
طبعةُ دار التعارُف للمطبوعات، الصفحة الثالثة بعدَ العاشرة ممَّا جاء في الخُطبة الثانية من خُطَبِ أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه يتحدَّثُ عن آل مُحَمَّد: **هُم مَوْضِعُ سِرِّه** - مَوضعُ سِرِّ اللّه - **وَلَجَأُ أَمْرِه وَعَيْبَةُ عِلْمِه وَمَوئِلُ حُكْمِه** - وماذا بعد؟ - **وَكُهُوفُ كُتُبِه وَجِبَالُ دِيْنِه، بِهِم أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه** - انْحناءَ ظَهرِ الدِّين - **وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه** - الفرائص ما يقعُ على الجَانبينِ من بدن الإنسان، حينما يُصيبهُ الخوفُ الشديد ويحلُّ بِهِ الرُّعبُ المُرعب تَرتعدُ فرائصُه، تَهتزُّ جوانبهُ، والعَيبةُ الحَاويةُ الَّتي تُوضعُ فيها الأسرارُ الثمينةُ..
إلى أن يقولَ أميرُ المؤمنين: **لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآله من هَذه الأُمَّة أَحَد** - ولا من جميع الخَلْق..
في الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن إمامنا الهادي صلواتُ اللّه وسَلامهُ عليه؛
نُسلِّمُ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد: **السَّلامُ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْهُدَىٰ ومَصَابِيحِ الدُّجَىٰ** - في (مفاتيح الجنان) - **وَأَعْلَامِ التُّقَىٰ وَذَوِي النُّهَىٰ وَأُوْلِي الحِجَىٰ وَكَهْفِ الْوَرَى وَوَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الأَعْلَىٰ وَالدَّعْوَةِ الحُسْنَىٰ وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأُوْلَىٰ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُه** - صلواتٌ عليكُم سادتي أوليائي، هؤلاء هُم كهْفُنا.
في الصَّلوات الشعبانيّة المرويَّة عن إمامنا السجّاد صَلواتُ اللّه وسلامهُ عليه؛
هكذا نُصلِّي عليهِم: **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الْفُلْكِ الجَارِيَةِ فِي اللُّجَجِ الغَامِرة** - إنَّها لُجَجُ البحار بحارُ الفتَن - **يَأْمَنُ مَن رَكِبَها وَيَغْرَقُ مَن تَرَكَها، الْمُتَقَدِّمُ لَهُم مَارِق وَالْمُتَأَخِّرُ عَنْهُم زَاهِق وَاللَّازِمُ لَهُم لَاحِق، اللَّهُمَ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الكَهْفِ الْحَصِيْن** - هؤلاء هُم كَهْفُنا الحصين - **وَغِيَاثِ الْمُضْطَرِّ الْمُسْتَكِين وَمَلْجَأِ الهَارِبِين وَعِصْمَةِ الْمُعْتَصِمين** - صَلوات اللّه عليكُم سادتي، رأسُ حُسينٍ يوجّهُنا إلى هذا الكَهف الحصين..
نُخاطبُ قائمَ آل مُحَمَّد، هكذا نقولُ لَهُ: **أَيْنَ بَابُ اللّهِ الَّذِي منهُ يُؤْتَىٰ** - يا أيُّها الكهفُ الحَصين، يا عصمةَ المعتَصمين، يا أمانَ الخائفين - **أَيْنَ وَجْهُ اللّه الَّذي إِلَيهِ يَتَوجَّهُ الأَوْلِيَاء، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء** - هذا هو كَهْفُنا الحَصين، وهذا هو حِرزنا الحريز إنَّهُ الحُجَّةُ بنُ الحسن العسكريّ، رأسُ الحُسَينِ يوجهنا إلى هذا الكَهف..
المسارُ الحُسيني هُو هُو المسارُ المهدويّ؛
حديثُ إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، في (تحف العقول)، لابن شعبة الحرّاني، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصفحة السابعة والثلاثين بعدَ المئتين: **دَخَلَ عَلَيهِ رَجُلٌ** - دَخلَ على الصَّادق صلواتُ اللّه عليه - **فَقَالَ لَهُ** - الإمامُ سألَهُ - **ممَّن الرَّجُل؟ فَقَالَ: من مُحِبِّيْكُم ومَوَالِيكُم، فَقَالَ لَهُ الإِمَام** - إنَّهُ إمامُنا الصّادق - **لَا يُحِبُّ اللّهَ عَبْدٌ حَتَّى يَتَوَلَّاه** - العَبدُ هُوَ الَّذي يُحبَّ اللّه، فالعبدُ هُو الَّذي يُحب وهُو الَّذي يتولَّى...
الوَلايةُ هي هذه؛ "علاقةٌ فيما بينَ العَبد والمعبود"، وَلايةُ عليٍ علاقةٌ فيمَا بيننا وبينَ عليٍ، والعلاقةُ فيما بيننا وبينَ عليٍ هي هي بنفسها علاقةٌ فيما بيننا وبينَ اللّه، من تولَّاهم تولَّى اللّه ومن عاداهُم عادى اللّه، هذه بديهيّاتُ عقائدنا، وهذه أُسس ديننا ومن دُونها ليسَ هُناكَ من دينٍ ولا عقيدة - **وَلَا يَتَوَلَّاهُ حَتَّى يُوجِبَ لَهُ الجَنَّة، ثُمَّ قالَ لَهُ** - الإمامُ يقولُ لهذا الرجُل - **من أيِ مُحِبِّيْنَا أَنْت؟** - من أيّة مجموعة؟! - **فَسَكَتَ الرَّجُل، فَقَالَ لَهُ سَدِير** - سَدِيرٌ الصَّيرفي من أصحابِ إمامنا الصَّادق، قالَ للإمام الصَّادق - **فَقَالَ لَهُ سَدِير: وَكَمْ مُحِبُّوكُم يَا ابْنَ رَسُولِ اللّه؟ فَقَالَ: عَلَىٰ ثَلاث طَبَقَات؛**
طَبَقَةٌ أَحَبُّونَا فِي العَلانِيَة - المرادُ من العلانية الظَّاهر - **وَلَم يُحِبُّونَا فِي السِّر** - إنَّهُم آمنوا بالظَّاهرِ فقط - **وطبقةٌ يُحِبُّونا فِي السِّرِّ وَلَم يُحِبُّونا فِي العلانية** - الَّذينَ مالوا إلى الباطل - **وَطَبَقَةٌ يُحِبُّونَا فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَة هُمُ النَّمَطُ الأَعْلَىٰ** - الإيمانُ إيمانٌ بظاهرٍ وباطن - **شَرِبُوا مِنَ الْعَذْبِ الْفُرَات** - "مِنَ العَذْب الفُرات"؛ من معارفهم من العُيون الصَّافية..
- **وعَلمُوا بِأَوَائِلِ الكِتَاب** - إمَّا أنَّ الكَلمة هكذا، أو أنَّ الكَلمة في أصلها: (وَعَلموا بِتَأويل الكِتَاب)، أوائلُ الكتاب تأويلُهُ، لأنَّ التَّأويلَ إعادةُ الشَّيء إلى أوَّلِه - **وَفَصْلِ الخِطَابِ وَسَبَبِ الأَسْبَابِ فَهُم النَّمَطُ الأَعْلَىٰ** - وماذا بعد؟

والفَقْرُ والفَاقَةُ - الفَاقَةُ الحاجَة الشَّديدة - **وَأَنْوَاعُ البَلَاء أَسْرَعُ إِلَيْهِم مِنْ رَكْض الْخَيْل، مَسَّتْهُم البَأْسَاءُ والْضَّرَّاء وَزُلْزِلُوا وفُتِنُوا فَمن بَيْنِ مَجْرُوحٍ ومَذْبُوحٍ** - أصحابُ الحُسينِ يَنطَبِقُ هذا المعنى عليهم انطباقاً كاملاً - **مُتَفَرِّقِينَ فِي كُلِّ بِلاد قَاصِيَة بِهِم يُشْفِي اللَّهُ السَّقِيم ويُغْنِي العَدِيم** - "العَدِيم"؛ الفقيرُ الَّذي فقرهُ مُدقِعٌ جداً - **وَبِهِم تُنْصَرُونَ وَبِهِم تُمْطَرُونَ وَبِهِم تُرْزَقُونَ وهُم الأَقَلُّونَ عَدَداً، الأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه قَدْراً وَخَطَراً** - مَنْزِلَةً.

وَالطَّبَقَةُ الثَّانِية؛ النَّمَطُ الأَسْفَل - النَّمَطُ الَّذي تقدَّم هو الأعلى - **أَحَبُّونَا فِي العَلَانِيَة** - عقيدَتُهم بِحُدود الظَّاهر - **وَسَارُوا بِسِيرَة الْمُلُوك** - بسيرة المُلُوك بسيرة الدُّنيا، سيرة المُلُوك ما يُعبِّرُ عنها في زماننا (البراغماتيّة)، بحسب المصالح، وهذا بالضَّبط واقعُ أكثر الشيعة - **فَأَلْسِنَتُهُم مَعَنَا وَسُيُوفُهُم عَلَيْنَا** - هُم بالألسنة معنا ولكنَّهُم يقفونَ معَ الَّذينَ يُحاربونَ منهجنا، وهذا هو حالُ أكثرِ خُدَّامِ الشَّعائر، إن لم يَكُن الجميع فإنَّ أكثرَهُم تنطبقُ عليهم هذه الأوصاف..

وَالطَّبَقَةُ الثَّالِثَة؛ النَّمَطُ الأَسْوَد - النَّمَطُ الأسود لأنَّهم يذهبونَ في الجانبِ الأسود، في الاتجاه الباطني في الأغوار - **أَحَبُّونَا فِي السِّرِّ ولَم يُحِبُّونَا فِي العَلَانِيَة، ولَعَمْرِي لَئِن كَانُوا أَحَبُّونَا فِي السِّرِّ دُونَ العَلَانِيَة فَهُم الصَّوَّامُونَ باللَّيْل** - وربَّما المرادُ القوَّامُونَ باللَّيل - **تَرَى أَثَرَ الرَّهْبَانِيَّة فِي وُجُوهِهِم، أَهْلُ سِلْمٍ وَانْقِيَاد** - "أهلُ سِلْمٍ وانقياد"؛ ليس لمُحمَّد وآل مُحمَّد وإنَّما منهجُهُم يجعلُهُم بهذا الحال، أهلُ سِلْمٍ وانقياد لمشايخ الطريقة، فإنَّ الصوفيين تنطبقُ عليهم هذه الأوصاف، هذا ما هو بمدحٍ لَهُم وإنَّما وَصفٌ للحالِ الَّذي هُم عليه، وإلَّا فإنَّ الإمامَ قالَ عنهُم من أنَّهُم النَّمَطُ الأسود.

قَالَ الرَّجُل: فَأَنَا من مُحِبِّيكُم فِي السِّرِّ والعَلَانِيَة - قالَ الإمامُ صلواتُ اللّه عليه: - **إِنَّ لِمُحِبِّينَا فِي السِّرِ وَالعَلانِيَة عَلامَات يُعْرَفُونَ بِها، قَالَ الرَّجُلُ: وَمَا تِلْكَ العَلامَات؟ قَالَ: تِلْكَ خِلَالٌ** - "خِلَال"؛ صفات - **أَوَّلُها؛ أَنَّهُم عَرَفُوا التَّوْحِيدَ حَقَّ مَعْرِفَتِه، وَأَحْكَمُوا عِلْمَ تَوْحِيدِه، والإِيْمَانَ بَعدَ ذَلِك بِما هُوَ وَمَا صِفَتُهُ، ثُمَّ عَلِمُوا حُدُودَ الإِيْمَان وَحَقَائِقَهُ وَشُرُوطَهُ وَتَأْوِيلَهُ، قَالَ سَدِير: يَا ابْنَ رَسُولَ اللّه مَا سَمِعتُكَ تَصِفُ الإِيْمَانَ بِهَذِهِ الصِّفَة؟** - من منَّا تنطبقُ عليه هذه الأوصاف؟!

هذه الخدمةُ المعارفيّة، فرأسُ الحسينِ يوجِّهنا إلى كُهُوفِ المعارف إلى الكهف الحصين..

- **قَالَ سَدِير: يَا ابْنَ رَسُول اللّه مَا سَمِعتُكَ تَصِفُ الإِيْمَانَ بِهَذِه الصِّفَة؟! قَالَ: نَعَم يا سَدِير، لَيسَ للسَّائِل أَنْ يَسْأَلَ عَن الإِيْمَانِ مَا هُو حَتَّى يَعْلَمَ الإِيْمَانَ بِمَن، قَالَ سَدِير: يَا ابْنَ رَسُول اللّه إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَسِّر مَا قُلْت** - فَسِّر لَنَا - **فقالَ الصَّادِقُ صَلَواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه: مَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللّهَ بِتَوَهُّم القُلُوب فَهُو مُشْرِك** - وأكثرُ النَّاس هكذا، يعرفونَ اللّهَ بتوهُّم القُلُوب - **وَمَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللّهَ بِالْاسْمِ دُوْنَ الْمَعْنَى فَقَد أَقَرَّ بِالطَّعْن** - "أقر بالطَّعْن"؛ نَسَبَ النَّقْص إلى اللّه، بِحسَب عَقيدَتنا؛ "فإنَّ الاسْمَ هُو الحقيقةُ المُحمَّديَّة"، لماذا؟ - **لأَنَّ الاسْمَ مُحْدَثٌ** - ما هو بقديمٍ، مَخْلُوقٌ، الحقيقةُ المُحمَّديَّةُ مَخْلُوقَةٌ، إنَّها حقيقةٌ مُفتقرةٌ إلى اللّه، هي بالنِّسبة لَنا حقيقةٌ واجبةُ الوجود، لكنَّها بالنِّسبة للّه سُبحانَهُ وتعالى هي حقيقةٌ يُمكنُ أن يعدمها اللّهُ سُبحانَهُ وتعالى، الحقيقةُ المُحمَّديَّةُ حقيقَةٌ مُحْدَثة مَخْلُوقة مع عَظَمَتها الَّتي لا نستطيعُ أن نتخيّلَها فضلاً عَن أن نتصوَّرها..

- **وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الاسْمَ والْمَعْنَى فَقَد جَعَلَ مَع اللّه شَرِيْكاً، وَمَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الْمَعْنَى بالصِّفَة لا بالإِدْرَاك فَقَد أَحَالَ عَلَى غَائِب** - أنَّهُ يستحضرَ صُورةً للّه من خلال صفته، الصِّفةُ غيرُ الموصوف، "بالإدراك"؛ الَّذي منشئهُ فطريٌ ومن أنَّ اللّهَ يدلُّ على ذَاته بذاته، وليس أن نتصوَّر لهُ صورةً عبر صفاته، "أحالَ على غائبٍ"؛ تَصوَّرَ شيئاً لا وجودَ لَهُ - **وَمَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الصِّفَةَ والْمَوصُوف فَقَد أَبْطَلَ التَّوحيد** - لماذا؟ - **لأَنَّ الصِّفَة غَيْرُ الْمَوْصُوف، وَمَن زَعَمَ أَنَّهُ يُضِيفُ الْمَوْصُوفَ إِلَى الصِّفَة فَقَد صَغَّرَ بالكَبِيْر وَمَا قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه** - "ومَن زَعَمَ أَنَّهُ يُضِيفُ المَوْصُوفَ إلى الصِّفَة"؛ فإنَّنا نعرفُ اللّهَ من خلال أوصافه، الصِّفةُ غيرُ الموصوف، ستتكوّنُ عندنا صُورةٌ محدودةٌ من خلال معرفَتنا المحدودة بالصِّفات، ولذا فإنَّ الإمامَ يقول: **"فَقَد صَغَّرَ بالكَبِيْر"**، جعلَ الكبيرَ صغيراً..

-**قِيلَ لَهُ: فَكَيفَ سَبِيلُ التَّوْحِيد؟** - هذه الاتِّجاهاتُ تُبْعِدُنا عن المسار الصَّحيح - **قَالَ الإِمَامُ صَلَواتُ اللّه وسلامهُ عَلَيه: بَابُ البَحْث مُمْكِنٌ، وطَلَبُ الْمَخْرَجِ مَوْجُودٌ** - طلبُ المخرجِ من الإشكالاتِ ومنَ المساراتِ الخاطئة، المعرفةُ مُمكنةٌ ولكن بِحَسبِنا - **إِنَّ مَعْرِفَةَ عَيْنِ الشَّاهِدِ قَبْلَ صِفَتِه، وَمَعْرِفَةَ صِفَةِ الغَائِبِ قَبْلَ عَيْنِه.**

أُقَرِّبُ لَكُم الفكرة بمثال؛ حينما يكونُ الشَّخصُ موجوداً أمامَ نواظرنا، والكلامُ هُنا ليسَ عن الجانب الحسّي فقط، وإنَّما عن الجانب الحسّي وعن الجانب المعنوي، فيمكنُ أن يكونَ الشَّخصُ المعنويّ حاضراً في أفقنا العقلي، والكلامُ ينطبقُ عليه، لكنَّني سآخذ مثالاً حسياً كي تكونَ الصورةُ أقربَ إلى المتلقّي، الشَّخصُ الحاضرُ حينما يكونُ أمامَ أعيُنِنا إنَّنا نُدركُ وجودَه أوّلاً قبلَ أن نُدركَ صفتهُ، حتَّى لو تصوّرنا أنَّنا أدركنا صفتهُ قبلَ وجوده فهذا اشتباهٌ، لأنَّ الصفةَ عارضةٌ عليه، الصفاتُ تتقوَّمُ به، الأ مثلةُ الحسيّةُ قطعاً تُقَرِّبُ من وجه وتُبَعِّدُ من وجوه، إدراكنا لصفاته يأتي مُتأخِّراً بعدَ إدراكنا لوجوده، بينما إذا كانَ الشَّخصُ غائباً عن حواسِنا وهُناكَ منَ يُخبرنا عنه، فإنَّنا سنعلَمُ بصفته قبلَ أن نرى شخصَهُ، قبلَ أن نرى ذاتَهُ..

-**قِيلَ: وكَيْفَ تَعْرِفُ عَيْنَ الشَّاهِد قَبْلَ صِفَتِه؟ قَالَ إِمَامُنَا: تَعْرِفُهُ وَتَعْلَمُ عِلْمَهُ** - "تَعلَمُ عِلْمَه"؛ تَعلَمُ خبَرَهُ - **وَتَعْرِفُ نَفْسَكَ بِهِ** - "تعرِفُ نفسَكَ بِهِ"؛ تستطيعُ أن تستدلَّ على نفسكَ بسببِ المعرفة المتينة الَّتي حصلت لديكَ به - **وَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ بِنَفْسِك من نَفْسِك.**

سيضربُ لنا الإمامُ مثالاً يُوضِّحُ كُلَّ هذا الكلام: الحديثُ عن الشَّاهد هُنا - **وتَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهِ** - أنَّ ما في الشَّاهد من أوصاف من كمالات - **لَهُ وبِهِ** - "وبِه"؛ هذه الكمالاتُ قائمةٌ به - **كَمَا قَالُوا لِيُوسُف** - من الَّذين قالوا ليوسف؟ إخوتَهُ - **إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ** - القراءةُ في المصحف وهي قراءةُ حفص في المصاحف الَّتي عندَنا ﴿**أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ**﴾، ولا معنى للهمزة هُنا، هذه لامُ التوكيد هُم عرفوا يوسُف فلماذا يبدؤون بالهمزة؟!

هذه هي الآيةُ التسعون بعدَ البسملة من سورة يوسف..

قراءةُ العترة: ﴿قَالُواْ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾، همزةُ إنَّ بعدَ القول تأتي مكسورةً وهذا أمرٌ يتكلَّمُ به البُلغاء والأدباء العربُ جميعاً يتكلَّمونَ به..

-**كَمَا قَالُوا لِيُوسُف؛ "إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُف قَالَ أَنَا يُوسُف وَهَذا أَخِي"، فَعَرَفُوهُ بِه** - وليس بصفاته عرفوهُ به بذاته، وما عَرفوهُ بشيءٍ خارجٍ عنه - **ولَم يَعْرِفُوه بِغَيرِه، وَلَا أَثْبَتُوهُ مِن أَنْفُسِهِم بِتَوَهُّمِ القُلُوب، أَمَا تَرَى اللّهَ يَقُول؛ "مَا كَانَ لَكُم أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا"، يَقُول؛ لَيْسَ لَكُم أَنْ تَنْصِبُوا إِمَامَاً مِن قِبَلِ أَنْفُسِكُم** - إلى آخرِ ما سيأتينا من حديثِ إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

فغايةُ الخدمة الحُسينيّة؛ أن نكونَ مع إمامِ زماننا..

فأصحابُ الكَهف حينَ ساروا في المنهج الصَّحيح ورفضوا المنهجَ الباطل ولجأوا إلى كهف اللّه إلى ساحةِ رَحمَته جاءهم التوفيقُ أن تَكُونَ عاقبةُ أمرِهم؛ **"أن يكونوا أنصاراً لقائمِ آلِ مُحمَّد ومن خواصِ أنصارِه"**، الخدمةُ الحُسينيّةُ يُرادُ منها هذه النتيجة.